البقرة الحمراء في المعتقدات اليهودية:

تعتقد بعض التيّارات اليهوديّة أنّ **البقرة الحمراء** (المعروفة أيضًا ببقرة "أحمرى" في التوراة) هي **شرط لا بدّ منه** لتحقيق "الطهارة" اللازمة لبناء الهيكل الثالث في **المسجد الأقصى**. وفقًا للمعتقدات اليهوديّة، يجب ذبح **بقرة حمراء خالية من أيّ عيب أو شية** (أي خالية من أيّ علامة أو لون آخر غير الأحمر) **ولا يقلّ عمرها عن السنتين** وحرقها واستخدام رمادها لتنقية الشعب من النجاسة، ليكونوا قادرين على بناء الهيكل وظهور **المسيح المنتظر (الدجال) ليحكموا العالم.**

التقارب بين البقرة الصفراء والبقرة الحمراء:

١. **الخلو من العيوب:** في كلّ من القصّة القرآنيّة والمعتقدات اليهوديّة، يتمّ التأكيد على ضرورة أن تكون البقرة **خالصة** دون أي شية أو عيب. في القرآن، **البقرة الصفراء** لا يجب أن يكون فيها أيّ عيب، وكذلك **البقرة الحمراء** في المعتقدات اليهوديّة يجب أن تكون خالية من أيّ تشويه.

٢. **دورها في الطهارة أو الإصلاح:** في القصّة القرآنيّة، يتمّ ذبح البقرة لمعرفة القاتل، بينما في المعتقدات اليهوديّة، يتمّ استخدام البقرة الحمراء في سياق **الطهارة الدينيّة** والتأهيل لإقامة الهيكل. في الحالتين، تظهر البقرة كأداة للانتقال إلى مرحلة جديدة أو لتحقيق هدف مهمّ.

في الأدعية والأذكار

- يا حيّ يا قيّوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّه ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.
- يا حيّ يا قيّوم، أحيي قلبي بنور معرفتك، يا الله يا الله يا الله.
- اللَّهُمَّ اجعلني سهلًا هيّنًا ليّنًا، قريبًا من النّاس، طيّب المعشر رفيقًا رحيمًا.

الآية 74

قسوة قلوب اليهود

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ يا معشر اليهود، ويبست فلم تلن ولم تخشع، ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما رأت من الآيات، كانفجار الحجر بالماء في التّيه، وإنزال المنّ والسّلوى، وتظليل الغمام، وإحياء الميت ليدلّ على من قتله، وغير ذلك.

قال الكلبي: "أنكروا بعد ما رأوا ذلك، وقالوا: ما قتلنا، فما كانوا قطّ أعمى قلبًا، ولا أشدّ تكذيبًا منهم لنبيّهم عند ذلك"[1]

شبَّه تعالى قلوبهم بالحجارة لأنّها لا تنبت ولا تزكو، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ إن شبّهتم قلوبهم بالحجارة أصبتم، وبما هو أشدّ أصبتم، وكذلك قلوبهم لا تفهم ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ بل في الحجارة فضل عليها في اللين، فإنّ منها ما تتفجّر منه الأنهار الكبار، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ أي من الحجارة ما يتصدع إشفاقاً من عظمة الله فينبع منه الماء. ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ومنها ما تهبط من رأس الجبل من خشية الله. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: «كلّ حجر تردّى من رأس جبل فهو من خشية الله". أمّا قلوبكم يا معشر اليهود فلا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من التّحريف والتأويل المضلل.

ولهذا نهى الله تعالى المؤمنين عن مثل حالهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2] أي فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعظة، بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات دون أن يتأثروا بها، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج كي تلين، أو أشدّ قسوة من الحجارة.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. صدق نبوّة الرّسول محمّد ﷺ وتقريرها أمام اليهود، إذ يخبرهم بأمور جرت لأسلافهم لم يكن يعلمها غيرهم، وذلك لإقامة الحجّة عليهم.

٢. الكشف عن نفسيّات اليهود وأنّهم يتوارثون الرّعونات والمكر والخداع.

٣. اليهود من أقسى البشر قلوبًا إلى يوم الدّين، إذ كلّ عام يرمون البشريّة بقاصمة الظّهر وهم يضحكون.

٤. القلب معرَّضٌ لأمراض كثيرة، وأخطرها القسوة الّتي أشارت إليها الآية القرآنيّة، وسبب القسوة العناء والتّماطل في تطبيق أوامر الله تعالى كما فعل بنو إسرائيل، ومن قسى قلبه لا ينفعه بشيء إن لم يتداركْ نفسه، وهو عرضة لغضب الله تعالى، ومن غضب الله عليه طبع على قلبه، ومن طُبِعَ على قلبه فلن يهتديَ أبدًا. فعلى المسلم العاقلِ الرّاجي رحمةَ ربّهِ أن يُبادِرَ إلى تطبيق أوامر ربّه فور استماعها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]

٥. أساس شيء في الإنسان قلبُه، فإذا صَلُحَ صَلُحَتْ سائِرُ جَوارحه وإذا فَسَدَ فَسَدَتْ سائِرُ جوارحِه. من علامات الشّقاء قساوة القلب وفي الحديث: ((مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ))[4].

(١) ذكره البغوي في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآيات: ٧٢-٧٤، (١/١٣٢).
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٣) سورة النور الآية: ٥١.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: ٥٩٩٧.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[1]، يبيّن الحديث أنّ القلوب تصير إلى قسمين، وذلك بعد أن تمرّ عليها الفتن، قلب أبيض وقلب أسود. وقد قسّم الصّحابة ﷺ القلوب إلى أربعة، كما صحّ عن حذيفة بن اليمان ﷺ: "الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَغْلَفُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ، وَقَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ، فَذَاكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ فِيهِ نِفَاقٌ وَإِيمَانٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَمُدُّهَا مَاءٌ طَيِّبٌ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ مِثْلُ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا قَيْحٌ وَدَمٌ، فَأَيُّهُمَا مَا غَلَبَ عَلَيْهِ غَلَبَ"[2].

٦. الحجارة في قبضة الله تعالى والقلوب كذلك، فمن شعر بقسوة قلبه فعليه أن يلتجيء إلى الله تعالى مالك القلوب ليغير قلبه إلى أحسن حال وليفجّره خشوعًا ولينًا وضياءً أي نورًا كما فجّر الحجارة عيونًا وأنهارًا ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[3].

في الأمر والنّهي

الحذر كلّ الحذر من المعصية التي لا يعقبها ندم وتوبة واستغفار. وَقَالَ الحَسَنُ: هو الذَّنْبُ عَلى الذَّنْبِ، حَتّى يُعْمِيَ القَلْبَ. وَقالَ غَيْرُهُ: لَمّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهم ومَعاصِيهِمْ أحاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ.

وأصل هذا أنَّ القلبَ يصدأُ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأُ حتى يصيرَ رانًا، ثم يغلب حتى يصيرَ طبعًا وقفلًا وختمًا، فيصير القلبُ في غشاوةٍ وغلافٍ، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انعكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذٍ يتولاه عدوُّه ويسوقه حيث أراد.

في الأخلاق والآداب

احرص على أن تنام على وضوء وتوبة واستغفار مهما كبر ذنبك أو تكرّر ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[4] وعن جابر ﷺ قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[5].

وعن ابن عمر ﷺ قال: "إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا جِلَاؤُهَا؟ قَالَ: «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ»[6].

الحكمة: ممّا يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس موجودًا معه.

الحكمة: مطالع الأنوار: القلوب والأسرار.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن حذيفة، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، حديث رقم: ١٤٤.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن حذيفة، كتاب: المهاجرون من الصحابة، باب: حذيفة بن اليمان ومنهم العارف بالمحن.
(٣) آل عمران: الآية ٨ (٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن جابر، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى، حديث رقم: ٢٨٧٨.
(٦) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن ابن عمر، كتاب: تعظيم القرآن، باب: في إدمان تلاوة القرآن، حديث رقم: ١٨٥٩.

في السّيرة والشّمائل

في السّلوك

الإشارة: كلّ من أساء الأدب مع أستاذه، أو خرج عن دائرته إلى غيره، قسا قلبه، وذهب حاله ولُبّه، فإن رجع قريبًا واستدرك ما فات، لان قلبه ونهض حاله، وإلا وقع في مهاوي القطيعة، ولم يأت منه شيء، وللقلب القاسي علامات: منها جمود العين، وطول الأمل، وعدم الحزن على ما فاته من الطّاعات، وما صدر منه من السّيّئات.

عدم العجب بما يصدر من العبد من الطّاعات بل نسبة الفضل لله الّذي وفقك لطاعته، فإنّ المؤمن تسرّه حسناته وتسيئه سيّئاته، ودواء من ينسى ذلك ويغترّ بطاعاته: صحبة الفقراء إلى الله الذّاكرين الخاشعين، والجلوس بين يديّ العارفين الكاملين، وتعاهد الصّيام، والصّلاة بالليل والنّاس نيام، والصّلاة والسّلام على سيّد الأنام، والتّضرّع إلى الحيّ القيّوم الذي لا ينام.

في الإعجاز العلميّ

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

- تتطرّق الآية الكريمة إلى مقارنة قلوب اليهود مع الحجر واعتبارها بنفس القسوة أو أشدّ ذلك أنّهم لم يعتبروا بالمعجزات التي أظهرها لهم الله تعالى وعادوا إلى كفرهم وغيهم.
- تقول الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، وهذا بالضبط ما يقع عند خروج بخار الماء والحمم من البراكين حيث يصاحب ذلك دويّ أشدّ وقعًا من صوت الرعد، و﴿يَتَفَجَّرُ﴾ البخار المائيّ نحو السماء. وفي مرحلة ثانية يسقط ذلك الماء على شكل مطر فتتكوّن منه الأنهار.
- تقول الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾، يمكن للماء أن يشقّ الحجر بشكل بسيط للغاية، ذلك أنّ تحوّل الماء بداخل الحجر من شكله السائل إلى شكله المتجمّد (بفعل انخفاض درجة الحرارة إلى صفر درجة فما تحت) يجعل الماء يتمدّد ليشغل فضاء أكبر من ذلك الذي كان يحتلّه، وينتج عن ذلك التمدّد ضغط قويّ يؤدّي إلى شقّ الأحجار وخروج الماء المتجمّد منه.
- يحتوي النظام الشمسيّ على أجسام صغيرة لا تتعدّى بعض الكيلومترات يطلق عليها اسم المذنّبات (Comètes) والنيازك (Météorites). تتكوّن هذه الأجسام أساسًا من أحجار وماء حيث يشكّل هذا الأخير حوالي ٨٠٪ من مكونات المذنّب ويوجد إمّا على شكل ثلج وإمّا حبيس الحجر.
- تتعرّض جميع كواكب النظام الشمسيّ، ومن بينها الأرض، إلى "قصف" متواصل من طرف هذه الأجسام، وهكذا فإنّ علماء الفلك يقولون بأنّ بعض المياه الموجودة في كوكب الأرض قد حملتها تلك الأحجار القادمة من الفضاء الخارجي.

• والآية الكريمة حين تقول: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ فالمقصود هنا أحجار النيازك والمذنّبات التي سقطت وتسقط على كوكب الأرض والتي تحوي قدرًا مهما من الماء.

وهكذا يتبيّن أنّ الآية الكريمة قد جاءت بحقائق علميّة لا غبار عليها وهي:

١. تحتوى الأحجار على ماء بقدر يتراوح بين ١٪ و٢٪.
٢. تحتوي الأحجار الموجودة بداخل الأرض على كمّيّات هائلة من المياه توازي الكمّيّات الموجودة على سطح الأرض.
٣. تخرج المياه التي تحتويها الأحجار من فوهات البراكين وتشارك بعد ذلك في الدورة المائيّة ممّا ينتج عنه تواجدها في الأنهار.
٤. يمكن للماء أن يشقّ الحجر بفعل تجمّده.
٥. تنزل الأحجار فوق كوكب الأرض بشكل كبير، وتصطحب معها كمّيّات من المياه.

والحجر حين يتعرّض لضغط وحرارة مرتفعين يلين ويفقد قسوته ويتحوّل إلى عجين، لذلك قال تعالى: ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ حيث إنّ الحجارة يمكن أن تلين أمّا قلوب الظالمين فقاسية لا تلين.

وهكذا يظهر جليًا أنّ فصاحة التعبير القرآنيّ غاية في الدقّة ذلك أنّه تعالى لم يكتفِ بمقارنة قسوة القلوب مع قسوة الحجر بل قال سبحانه: "أو أشدّ قسوة"، مع العلم أنّه في عصر الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم يكن هنالك بشر يمكن أن يتصوّر أنّ الحجر يمكن أن يلين ويفقد من قساوته، ولكنّه سبحانه أعطانا كتابًا صالحًا لكلّ زمان ومكان، وكلّما تقدّمنا بالعلم أعجزنا القرآن أكثر فأكثر، فسبحان الله وبحمده.

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

«اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ مِن عِلمٍ لا ينفَعُ، ومِن قَلبٍ لا يخشَعُ، ومِن نَفسٍ لا تَشبعُ، ومِن دعوَةٍ لا يُستَجابُ لها» [١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [٢]

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن زيد بن أرقم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل، حديث رقم: ٢٧٢٢...
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.